

# منبر المحراب

## الشهادة حُلْمُ الصَّديقين

«أشهد أن دَمَكَ سَكَنَ فِي الْخَلْدِ..»

السنة العشرون

العدد ١٠١٧ - ٥ محرم/ ١٤٣٤ هـ

الوافق ٢٠/ تشرين الثاني/ ٢٠١٢ م

### محاور الموضوع الرئيسية :

- ١- بذل الدماء طريق العزة
- ٢- الشهادة دعامة الرسالات الإلهية
- ٣- الامام الحسين (عليه السلام) على طريق حفظ الرسالات
- ٤- الشهادة الواعية
- ٥- أجر الشهادة وتفاوت درجاتها
- ٦- الشهادة حُلْمُ الصديقين

### الهدف:

اظهار فضل الشهادة

### تصدير الموضوع:

عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) في زيارة الامام الحسين (عليه السلام): «أشهد أن دمك سكن في الخلد...»<sup>(١)</sup>

(١) الكافي ج٤ ص ٥٧٦

### بذل الدماء طريق العزة

إن بذل الدماء ليس مقتصرًا على الأمة الإسلامية، بل كل الناس إلى أي دين أو ملة انتموا إذا أرادوا العزة والعيش الكريم، يدعون أتباعهم إلى بذل الدماء، ويقدمون في سبيل ذلك الأنهار من الدماء، فمَنْزُج الإنسان على الأرض، كان الاضطهاد والظلم وكان الصراع بين الحق والباطل، وبين العدل والظلم، وبين الإيمان والكفر، كان بذل الدماء.

الفارق هو: أن الدماء الإسلامية التي بذلت في سبيل الله تعالى لن تذهب هدرًا لا في الدنيا - حيث هي طريق العزة والحرية والكرامة والنصر - ولا في ما بعد الدنيا حيث ان هؤلاء الشهداء أحياء وليسوا

أمواتًا وهم في الدرجات العلى من الجنة. يقول تعالى: «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَمْوَاتٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ»<sup>(١)</sup>، «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَمْواتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ \* فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ \* يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ»<sup>(٢)</sup>.

### الشهادة دعامة الرسالات الإلهية

إن الشهادة إحدى أقوى الدعائم في الرسالات السماوية. إن الأنبياء (عليهم السلام) بُعثوا لتأصيل الدين في نفوس الناس، ولنقل الناس من عبودية الآلهة المتعددة إلى عبودية الإله الواحد القهار، وليكون الدين كله لله، ولإحقاق الحق وإبطال الباطل، ولنشر العدل والقضاء على الظلم.

والسيرة النبوية العامة، على طول حركة التاريخ، تروي لنا أن الأنبياء وأتباعهم قد تحملوا أنواع الأذى، وواجهوا أنواع الفتن، واصطدمت بهم البلايا والمصائب، وقدموا تضحيات كثيرة، وسقوا شجرة العقيدة بدمائهم الزاكية. يقول الإمام الحسين (عليه السلام): «يا عبد الله، إن من هوان الدنيا على الله تعالى، أن رأس يحيى بن زكريا يهدى إلى بغي من بغايا بني إسرائيل، وأن رأسي يهدى إلى بغي من بغايا بني أمية! أما علمت

أن بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبياً! ثم يبيعون ويشترّون، كأن لم يصنعوا شيئاً...»<sup>(٣)</sup>.

### الامام الحسين (عليه السلام) على طريق حفظ الرسالات

وقد كان للامام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه في كربلاء التضحيات الجسام على طريق الدفاع عن رسالة الانبياء التي ختمت برسالة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلقد أقدم الحسين (عليه السلام) على الموت مُقَدِّمًا نفسه وأولاده وأطفاله وأهل بيته وأصحابه للقتل قرباناً وفاءً لدين جدّه (صلى الله عليه وآله وسلم) بكل سخاء وطيبة نفس وعدم تردد وتوقف قائلاً بلسان حاله :

إن كان دين محمد لم يستقم

إلا بنفسي يا سيوف خذيني

وقال : «الا ان الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين السلة والذلة وهيأت منا الذلة يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وجدود طابت وحجور طهرت وأتوف حمية ونفوس أبية لا تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام»<sup>(٤)</sup>.

### الشهادة الواعية

يبدو أن قضية الشهادة، تطرح غالباً، وكأنها قيمة مستقلة ومطلقة، ينبغي أن يسعى إليها الإنسان، وينالها

(٣) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤، ص ٣٦٥

(٤) انظر: اعيان الشيعة ج١ ص ٥٨١

(١) البقرة ١٥٤

(٢) آل عمران ١٦٩-١٧١

## إليه يصعد الكلم الطيب

وعن رسول الله ﷺ انه قال: «خيرُ الناس، رجلٌ حبس نفسه في سبيل الله، يجاهد أعداءه، يلتمس الموت أو القتل في مصافه»<sup>(٥)</sup>.

### الشهادة حلم الصديقين

إن تعلق الإنسان بالحياة الدنيا، وحب البقاء فيها، ونفوره من الموت، ظاهرة طبيعية في النفس الإنسانية الاعتيادية. فكل إنسان حسب العادة يخاف الموت، ولكن هناك رجال يعيشون الموت ويحلمون بالشهادة ويسعون لملاقاتها، فما هو السرُّ في ذلك؟ ما هو سر قول الرسول ﷺ: «لوددت أني أغزو في سبيل الله فاقتل، ثم أغزو فاقتل، ثم أغزو فاقتل، ثم أغزو فاقتل» ما هو سرُّ قول الإمام علي عليه السلام: «والله، لأبني أبي طالب انس بالموت من الطفل بثدي أمه»

١. ما هو سرُّ قول الإمام الحسين عليه السلام: «إني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً».

ما هو سرُّ شجاعة المقاومين في لبنان من أبناء المقاومة الإسلامية؟

في الحقيقة السرُّ هو في الإسلام العظيم، والقرآن الحكيم، الذي رسَّخ في نفوس أتباعه الفضائل الكريمة، وفي عقول مريديه العقائد السامية. وأهمُّ هذه العقائد الإيمان بالله وبالحياة بعد الموت، إيماناً راسخاً لا يتزلزل.

يقول رسول الله ﷺ مؤكداً دور النية في الشهادة: «كم ممَّن أصابه السلاح ليس بشهيد ولا حميد، وكم ممَّن قد مات على فراشه حتف أنفه عند الله صديق شهيد»<sup>(٢)</sup>.

### أجر الشهادة وتفاوت درجاتها

إن أجر الإنسان على قدر ما يبذل، واقصى ما يبذله وأعزُّ هو روحه التي بين جنبيه، لذلك كان أجر الشهيد كبيراً كبيراً.

عن رسول الله: «فوق كل ذي برٍّ بر حتى يُقتل الرجل في سبيل الله، فإذا قُتل في سبيل الله فليس فوقه بر»<sup>(٣)</sup>.

وكما أن الإيمان درجات، وأصحاب الجنة درجات، ولأهل النار درجات، كذلك التضحية بالأموال درجات، والتضحية بالأنفس درجات، والشهادة التي هي أم التضحيات، وأشرف الطاعات، وأهم العبادات، وأفضل الدرجات، وأقصى غاية الجود، هي الأخرى منازل ودرجات متفاوتة. فالذي يبحث عن الشهادة فيستشهد، ليس كالذي تبحث الشهادة عنه، فينال منازل الشهداء. كلاهما شهادة في الإسلام، ما دامت في سبيل الله تعالى، حيث تنتظرهم جنة الخلد، والحدور العين، ولكن لا يستويان عند الله تعالى في منازلهم. قال الله تعالى: «وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَبِوَجْهِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَهُمْ لَبِئْلَهُمُ الْمُؤْمِنُونَ»<sup>(٤)</sup>.

بأي أسلوب، وفي أي إطار... ترى هل الشهادة التي هي قيمة إسلامية عالية هي أمر مطلوب في حدِّ ذاته؟ هل هي هدف في حدِّ ذاتها؟ أم أنها مطلوبة باعتبارها وسيلة؟ الحقيقة، إننا حينما نعود إلى أصول الفكر الإسلامي، في الكتاب الكريم، وفي السنة الشريفة، نلاحظ أن الشهادة في ذاتها ليست قيمة مطلقة، وإنما هي قيمة نسبية، وأن القيمة المطلقة هي لما تقدمه الشهادة من عطاءات للأمة، يرخص في مقابلها بذل الدماء والأرواح.

فهذا الإمام الحسين بن علي عليه السلام حدّد هدفه من الجهاد والشهادة قائلاً: «وأنّي لم أخرج أشيراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ﷺ أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي ابن أبي طالب عليه السلام فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين»<sup>(١)</sup>.

فالشهادة لا تعني الموت كيفما اتفق، بل ينبغي أن تكون الشهادة لأجل هدف سام يختصرها عنوان «في سبيل الله»، من هنا ركز الإسلام على النية الخالصة لوجه الله وفي سبيله، فللنية في الإسلام دورها في قيمة العمل، فكلما كانت نية الإنسان المسلم خالصة لله، لا يشوبها غرض آخر، كلما كان العمل ذا قيمة عالية.

(٢) ميزان الحكمة، محمد الري شهري، مج ٥، ص ٩٧٨٩.

(٣) ميزان الحكمة ج ٢ ص ١٥١٢.

(٤) الأحقاف: ١٩.

(٥) مستدرک الوسائل، ميرزا حسين نوري الطبرسي، ج ٢، ص ٢٤٤.